

ممارسة العنف اللفظي في أوساط الشباب - المنظور السوسيولوجي -

د. بن يمينة سعيد / أ. بن شرقية الزهرة
جامعة المسيلة / جامعة برج بوعريريج
- الجزائر -

مقدمة:

إن قصص عنف الشباب لا تكاد تحصى لكثرتها ولا يكاد يمر يوماً إلا ونسمع عن مأساة جديدة، أو حادثة عجيبة فريدة، حتى أصبح الأمر ظاهرة تحتاج إلى النظر في أسبابها وأثارها وكيفية علاجها ولا يخفى على ذي عين باصرة مظاهر العنف التي ملأت أرجاء الأرض، وأركان الدنيا، وشباب العالم، والتي لم يصبح أبناؤنا بمعزل عنها ولا شبابنا، فقد طالت غيرهم وليس هذا بمستغرب بعد أن أصبح العالم صغيراً متقارباً كأنه يعيش في مكان واحد، وبعد العولمة التي غزت العالم وكنا نحن المسلمين وأبناء الشرف أكثر المتأثرين بها المتضررين منها فمظاهر العنف كثيرة وتمارس بأشكال متنوعة منها: القتل بأنواعه، زيادة حوادث الاختطاف، عنف الشباب مع آبائهم وأمهاتهم، العنف المدرسي، استخدام الأسلحة البيضاء، وغيرها من المظاهر المنتشرة ولاشك إن لهذه الظاهرة أسبابها، بحيث أصبح وسيلة للدفاع عن النفس والرأي دون وعي، فالعنف اللفظي يعد من المواضيع الشائكة في المجتمع الجزائري، ولاسيما وإن الخبراء يشيرون بهذا الخصوص إلى أن الإساءة اللفظية غالباً ما تؤدي إلى العنف الجسدي، فالعبارات المقشعة إلى الحياء التي أصبحت تمارس هي من أهم أعراض العنف اللفظي الذي أصبح ظاهرة متفشية بشكل واضح في أوساط الشباب، فكثيراً ما يعترض العنف سبيل الاتصال حيث يغيب الحوار، والواقع المعاش يكشف للأسف أن الكلمات التي تخدش الحياء أصبحت ظاهرة مألوفاً سواء في الأسرة أو المدرسة والجامعة أو الشارع، فلقد أمسى سلوكاً يمارسه الإنسان المعاصر، وسنحاول من خلال هذه المداخلة الإجابة على تساؤل محوري مفاده:

- هل العنف اللفظي الممارس هو ناتج عن التحولات الأسرية؟ أم هو فطرة كامنة في الأصول الغريزية؟

وللإجابة على هذا التساؤل يدعنا لخصص وتحليل العناصر التالية:

- عرض المفهوم السوسيولوجي للعنف والعنف اللفظي وواقعه في المجتمع.
- عرض أسباب وطرق معالجة العنف اللفظي الممارس في ظل التحولات التي تطرأ على المجتمع حالياً.

I. العنف:

1- مفهوم العنف:

العنف بصفة عامة قضية كبرى عرفها الإنسان منذ بدء الخليقة كما انه إحدى القوى التي تعمل على الهدم أكثر من البناء في تكوين الشخصية الإنسانية ونموها، وهو انفعال يؤدي بالضرر إلى ارتكاب أفعال مؤذية في حق ذاته أحيانا وفي حق الآخرين أحيانا أخرى.

تاريخيا: ارتبط مفهوم العنف بالقوة الصادرة عن الطبيعة فكلمة Violention المستمدة من الكلمة اللاتينية، وتعني العنف وهي مشتقة من كلمة VIS التي تعني القوة في شكلها الفيزيقي الملموس، ويمتد هذا المعنى المرتبط بأصل الكلمة في العديد من القواميس اللغوية، كمعجم لاروس الذي يعرفه بكونه خاصية لكل ما ينتج عنه مفعول بقوة شديدة متطرفة ووحشية، فهو خاصية لما هو عدواني وأنه تعبير عن أقصى الشدة، وأنه تجاوز عبر اللفظ والسلوك وبالعكس استخدام القوة.

ويعرفه قانون العلوم الإنسانية بأنه فعل خشن فظ يهدف إلى الضغط وإرغام الآخرين.

ودائما حسب نفس المرجع فإن مفهوم العنف يستعمل ل3 حالات هي

حسب:

1. بوزوفيتس Pausevitz : الحرب هو فعل من الأفعال التي تهدف إلى إجبار الخصم على الامتثال لإرادتنا.

2. ماكس فيبر: الدولة هي المؤسسة التي تسيطر وتحتكر العنف الشرعي.

3. اليوم نتكلم عن العنف ضد الحياة الشخصية للأفراد أو العنف داخل الأسرة وبين الغرباء، كما يعرف العنف على انه الإيذاء باليد واللسان وبال عقل أو بالكلمة وهو التصادم مع الآخرين.

ولغة: هو الخوف بالأمر وقلّة الرفق وهو ضد الرفق واعنف الشيء أي أخذه بشدة والتعنيف هو التفريغ واللوم.

فالعنف هو ذلك السلوك المقترن باستخدام القوة الفيزيائية وهو الفيروس الحامل للقسوة والمانع للمودة فهو خلقا مكتسبا في النفس البشرية فعنف الطبيعة وعنف الآباء هو الذي يغرس العنف في الأبناء فهو صورة من صور القصور الذهني وانعكاس للقلق وعدم الصبر والتوازن وقلّة.

الحيلة، وكذلك هو كل تصرف يؤدي إلى إلحاق الأذى بالآخرين وقد يكون الأذى جسديا أو نفسيا فالسخرية والاستهزاء من الفرد وفرض الآراء بالقوة وإسماع الكلمات البذيئة جميعها أشكال مختلفة لنفس الظاهرة، وتشير الموسوعة العلمية أن مفهوم العنف يعني كل فعل يمارس من طرف جماعة أو فرد معين ضد أفراد آخرين عن طريق التعنيف قولاً أو فعلاً وهو فعل عنيف يجسد القوة المادية والمعنوية، وفي تعريف المعجم الفلسفي نجد العنف هو كلمة مضادة للرفق ومرادف للشدّة والقسوة والعنيف هو المتصف بالعنف فكل فعل شديد يخالف طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من خارج فهو بمعنى ما فعل عنيف.

وعرف في علم الاجتماع بأنه استخدام الضبط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما.

ونستنتج من هذه التعاريف إن للعنف العديد من الأشكال والصور فهو ليس مجرد التعدي على الجسد بل انه يمكن أن يكون على شكل تعدي شفوي أو حركي.

بالإضافة إلى هذا التعريف: العنف هو تناول على حرية الآخرين.

وهذا التعريف هو الأكثر نجاحاً حيث أنه لم يركز فقط على الجانب الأخلاقي إنما تعدي ذلك وتطرق إلى قضية الحرية والتطرق لهذه الأخيرة يعنى حرية المعتقد، العيش، التعبير، الوجود... الخ.

- التعريف الإجرائي:

العنف هو استخدام القوة المادية، والتهديد المعنوي وذلك قصد الضغط والحق الأذى بالآخرين.

ويمكن تقسيم العنف إلى العنف البدني والعنف الشفهي فالعنف البدني هو الذي سيتم بالسلوك البدني الضار كالقتل الإيذاء، العنف الشفوي هو الذي يكون بالتهديد استخدام العنف دون استخدامه بالفعل، كذلك العنف النفسي ويشير إلى التحقير، الاستهزاء، التسليط، الاستبداد، إلغاء الشخصية، إلحاق الأذى بالنفس، لا يمكن دراسة ظاهرة العنف دون الإشارة إلى المتغيرات المتداخلة معه مثل ما يلي:

❖ العنف والعدوان:

يرتبط العنف بالعدوان انه نشاط تجريبي يتضمن عنفا في حد ذاته وقد لا يؤدي العنف إلى إحداث خسائر بالضرورة لكنه يرتبط بتعمد الأذى أو التخريب وهناك فرق جوهري بين العنف والعدوان فعلى الرغم من الخلط بين المفهومين إلا انه مما لا شك فيه إن هناك ثمة اختلاف بينهما، فالعدوان سلوك ربما يكون ظاهرا وكامنا، فالأفراد جميعا يمتلكون غريزة العدوان، ولكن الفرق في التعبير عن هذه الغريزة التي تختلف باختلاف الأفراد والأساليب فالعنف هو شكل من أشكال العدوان ووجهان لعملة واحدة.

❖ العنف والغضب:

توجد علاقة بين العنف والغضب حيث إن الغضب الزائد ينجم عنه الكثير من الآثار السلبية خاصة على التوافق الشخصي والأسري والاجتماعي والدراسي والوظيفي للفرد حيث يؤدي إلى حدوث إضرار للفرد نفسه وللآخرين وإتلاف الأشياء وإفساد العلاقات الاجتماعية بين الفرد وغيره.

فإذا اعتبرنا الغضب يمثل مشكلة بين طرفين يقع عند احدهما القمع لمشاعر الغضب ويقع العنف عند الطرف الآخر حيث يتم التعبير عن مشاعر الغضب في صورة عنف وتدمير والعدوان في حين يتوسط الطرفين الضغط المعتدل لمشاعر الغضب.

❖ العنف والإيذاء:

يعد الإيذاء شكلاً من الأشكال السلوكية المبالغ فيه لخروج عن حدود الضبط لمفهوم العدوان الواسع والتي تقضى بان يسخر الفرد هذا السلوك للأهداف حميدة تبرز في النشاط البناء للفرد ولمحاولة إزالة الظروف والعوائق التي تعوقه عن الوصول إلى الأمن الذاتي أو غيره من الأمور والأهداف التي يطمح الفرد إلى تحقيقها في إطار المعايير الاجتماعية.

ومظاهر العنف كثيرة ويمارس بأشكال متنوعة، فهو يعبر عن واقع ثابت منها: القتل والاختطاف والاعتصاب، واستعمال الأسلحة البيضاء، عنف الشباب مع آبائهم وأمهاتهم، والعنف في المدارس، العنف ضد المرأة، العنف اللفظي.

2- أنواع العنف:

هناك عدة تقسيمات لأنواع العنف نذكر منها:

❖ التقسيم الأول:

- العنف الرمزي:

هو أخطر أنواع العنف والذي يتمثل، في عملية الاحتقار أو التجاهل إلى حد العزل الذي يمارسه المراهق العنيف ضد ضحاياه.

- العنف المؤسسي:

يمكن إن نحده في أي مكان بالمؤسسات المعنية بالكفالة إلى المؤسسات المعنية بالحماية من مؤسسات الشرطة والقضاء. السلك الطبي، مؤسسات إعادة التربية.

وبدرجة أكبر يمكن أن نسجل بعض أنواع القمع المعترف بها عموماً في بعض البلدان والتي لازالت تمارس في بعض المؤسسات ذات الأنظمة القمعية مثل شعر مخلوق تماماً ثياب بالية، حرمان من الأكل، تهاون، نقص العناية والتربية داخل المؤسسة حرمان عاطفي في مأوى يزعم على أنها عائلتة على التعدييات المحرمة.

❖ التقسيم الثاني:

- العنف الداخلي:

وهو ذاتي مثل تعاطي المخدرات، الجرح العمدي للجسم محاولات الانتحار، إذ يمثل قمة الاعتداء على الذات.

- العنف الخارجي:

وهو يكون نحو الغير سواء بالصراخ في وجه من يضايقه وحتى الاعتداء بالضرب.

❖ التقسيم الثالث:

- العنف الجمعي:

العنف الجمعي أو الشعب هو صورة خاصة من صور القوة التي تتضمن جهودا تستهدف تعميرا أو إيذاء موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي من مصادر الإحباط والخطر، كرمز لها.

- العنف الفردي:

العنف كظاهرة تميز السلوك الإنساني فهي تمس قبل كل شيء الفرد والفرد المهدهد فيمارس تأثيره الجسدي والنفسي، فالنفس البشرية تحمل في ثناياها أشكالاً للعنف ذات تجانس خفي، فالشغف بالقوة والمخاطرة وهذه الرغبة في الانتصار والسيطرة وهذا العشق للزعيم صورة للبطل التي تشبهه بأن منطلق العنف سريع الاندلاع.

3- أشكال العنف:

يوجد هناك 4 أشكال للعنف ندرجها فيما يلي:

أ-العنف الشفوي:

هو الذي يكون بالتهديد باستخدام القوة دون استخدام العنف فعليا، وغالبا ما يسبق العنف البدني الحقيقي هذا التهديد ولكن لا يشترط تلازمها في كل الأحوال.

ب-العنف البدني:

هو الذي يتم بالسلوك البدني الضار كالضرب والقتل والإيذاء والتسلط على الآخرين لإحداث نتائج اقتصادية ونفسية وعقلية واجتماعية ويشترط لتوافر هذا النوع من العنف وجود النية لإحداث الضرر.

ج- العنف المشروع:

هو كل نوع من أنواع استخدام القوة لتنازع الحقوق، القرارات على النحو الذي يرفع الظلم كطرد الاحتلال أو استعادة الأرض، وكف الظلم الاجتماعي، والدفاع المشروع عن النفس، وهذا الأسلوب لا مناص منه إذ يعد تحصيل الحقوق بشكل كبير سلمي.

د- العنف غير المشروع:

هو كل استعمال للقوة للاحتفاظ بحق مزعوم أو حق غير مشروع كما أنه يعتبر العنف الذي يخالف المعايير الاجتماعية والقانونية على اختلاف أساليبها.

4- آثار العنف:

1. الآثار الجسدية:

يترك العنف الجسدي آثار عميقة قد تؤدي إلى ظهور تشوهات أو إعاقات بالغة على المستوى الجسدي.

العضوي: الكسور المتعددة في مختلف أنحاء الجسم.

العصبي: الأورام الدموية التي تحدث قرب المخ، النزيف الذي يتعرض له الدماغ، الجروح المستوية، ويمكن أن تتعدى إلى منطقة الصدر، وتصيبه بالأذى.

2. الآثار النفسية:

على شخصية الضحية، التخوف مع إظهار بعض الحالات من الهيجان والتوتر، البكاء، الصراخ، طلب النجدة وعدم الثقة في النفس والشعور بالإحباط الشعور بالنقص وعدم التوازن في الشخصية.

5- أعراض العنف:

أن العنف ليس حكرا على طبقة اجتماعية معينة يقول العالمان Dra bouille et Manciaux، وإنما هي بكل بساطة مقنعة بصورة جيدة في الأوساط الاجتماعية الميسورة. وتظهر أعراض العنف في النقاط التالية:

- ✓ الكذب المرضي.
- ✓ النشل.
- ✓ التزييف.
- ✓ التخريب.
- ✓ الشغب.
- ✓ الخطورة على الأمن.
- ✓ العدوان والتمرد ونقص ضبط الانفعالات حدة الطمع والتقلب.
- ✓ تعاطي المخدرات والإدمان.
- ✓ الشعور بالرفض والحرمان ونقص الحب وتهديد الأمن ونقص فهم الآخرين بالعجز الحقيقي أو المتخيل.
- ✓ مشاعر النقص في الأسرة والمدرسة ومع الرفاق.
- ✓ الشعور بالمرارة والغيرة نحو أحد وأكثر من الإخوة بسبب التفرقة في المعاملة.
- ✓ الشعور بالذنب وخصوصا السلوك العنيف.
- ✓ نقص التبصر بعواقب السلوك ونقص التعليم من الخبرات السابقة.
- ✓ نقص القدرة على الحكم السليم.
- ✓ نقص المسؤولية، ضعف الضمير، الاستهتار بالتعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية زيادة النشاط المركب ونقص الاستقرار، الاندفاع.
- ✓ نقص ضبط النفس والاتجاهات الدفاعية والعدوانية، ونقص التعاون ومناوأة السلطة.

6- انعكاسات العنف على الفرد والمجتمع:

ومن أهم انعكاسات العنف ما يلي:

1. العنف يشكل خطر على الوجود البشري.
2. العنف والعدوان مساس بالحريات الفردية والجماعية.
3. العنف يهدف إلى الهمجية والفضو.
4. العنف يخدم مصالح الأقلية في أغلب الأحيان.

II. العنف من المنظور السوسيولوجي:

وقد تحدثت أدبيات الفكر السوسيولوجي والفلسفي تاريخيا عن العنف من حيث أشكاله، وكيف تولد العنف في التاريخ وما هي الأدوار التي لعبها، ومن أين اكتسب مشروعياته وهل هناك عنف مشروع أصلا. ومجمل هذه الأطروحات تنسجم مع الاتجاهات العامة التي وردت في المقال. ويمكن الإشارة إليها هنا باختصار شديد. فعلى مستوى أشكال العنف فقد تم تقسيمه إلى العنف البدني، والذي تحدث عنه ايف ميشو (1942) بأنه الضرر والألم المقصود الذي ينصب على جسم الكائن ويترك أثرا قابلا للملاحظة والتحقق منه، مثل الضرب والقتل والتعذيب والحرب والتجويد وغيرها، ويعتبر العنف من الظواهر التي ترتبط بتربية الأفراد وثقافتهم مثلما ترتبط بالمؤسسات المجتمعية والأنظمة السياسية. فكما هناك أفراد يمارسون العنف كذلك هناك أنظمة سياسية بوليسية تقم المعتقلات والمعسكرات للتعذيب المنهج. وقد ساعد التطور التقني المعاصر في تطوير وتيسير أساليب فعل العنف وجعلها أكثر فتكا، إلى جانب الاستخدام الواسع والمنظم لوسائل الإعلام التي تروج لمختلف مظاهر الإبادة والتعذيب والتخريب؛ والشكل الثاني من العنف هو العنف الرمزي كما يسميه المفكر الفرنسي بيير بورديو (1930 - 2002) وهو أكثر فاعلية، وهو عبارة عن عنف لطيف وعتب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياهم أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية" كالكلام والتعليم والتربية والثقافة وأساليب التنشئة الاجتماعية وأشكال التواصل داخل المجتمع، فيلحق الضرر بالغير بطريقة لا تثير انزعاجا، بل أن الذين يمارس عليهم هذا العنف قد لا يعتبرونه عنقا وقد يساهمون في إنتاجه وترويجه وكأنه حتمية وجودية، إذ يتلقى الناس أفكارا وآراء ومسلّمات كأنها حقائق مطلقة وثابتة، ويقبلونها بكل تلقائية وتسليم. هذا النوع من التلقي يسميه بورديو بـ "الإقناع الصامت والسري" الذي يفرض الهيمنة والسلطة.

أما بالنسبة لأسباب التي تنتج العنف في التاريخ فهناك عدد من النظريات التي فسرت ذلك، ولعل الماركسية أول من التفت لظاهرة العنف في التاريخ من منطلقات سوسيو اقتصادية، حيث أكد كارل ماركس (1818 - 1883) أن العنف في التاريخ ناتج عن الصراع الطبقي الذي هو المحرك الأساسي لعجلة التاريخ بمختلف مراحلها، والذي يجسده الصراع بين طبقتين مختلفتين، هما الطبقة المستغلة والطبقة المستغلة، أو ما يعبر عنه بلغة الاقتصاد الماركسي التناقض التاريخي والمستمر بين قوى الإنتاج من جهة وعلاقات الإنتاج من أخرى،

كما نراه مثلا في الرأسمالية وهو الصراع الحاصل بين البورجوازية مالكة وسائل الإنتاج وبين البروليتارية، ويولد هذا الصراع مختلف أشكال العنف والاستلاب والاستغلال الذي تمارسه الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج المادي على الطبقة العاملة. وقد يتخذ هذا الصراع طابعا فرديا لا يعيه الفرد ذاته، كما يتخذ صراع جماعات مختلفة "نقابات، وإيديولوجيات وأحزاب سياسية". أم التفسير الآخر للعنف فهو كما يراه المفكر الفرنسي روني جيرار (1923) بما يسمى "الرغبة سبب العنف" وهذا التفسير يرى أن الإنسان كائن راغب، توجه تفكيره وسلوكه مجموعة من الرغبات، وان إشباع هذه الرغبات يرتبط بموضوعات معينة وتكاد تكون موحدة بين البشر، مما يجعل الناس يتوجهون إلى نفس الموضوعات بطريقة يسميها محاكيتية، فيظهر بينهم التنافس والتدافع ويتحول الأمر إلى النزاع والصراع ثم إلى حرب مفتوحة تأتي على حرق الأخضر واليابس، ولا يتوقف العنف بين بني الإنسان إلى الأبد، نظرا لعد انقضاء الرغبة المرتبطة بالموضوع المتنازع عليه من جهة، ونظرا لظهور سيكولوجية الانتقام الجماعي المؤجل من الخصم من جهة ثانية. على خلاف ما يجري في وسط الحيوانات التي يخمد الصراع بين أفرادها بمجرد الغلبة وخضوع الأضعف للأقوى. ويؤكد جيرار أن العنف الإنساني عنف مدمر، فهو ينتشر في الجماعة من فرد إلى فرد ويمكن أن يؤدي إلى قيام مذابح جماعية.

III. هل العنف سلوك فطري أم مكتسب؟

وفي السيكولوجية والتربية حيث يجري البحث عن الجذور الفردية والعوامل المهيأة في نشأة العنف ومعرفة أسبابه الكامنة، وحيث أن الفرد عضو في الجماعة، فإن معرفة الجذور الذاتية للعنف يعني بالضرورة فهم العنف ومحركاته الأساسية على النطاق المجتمعي. وفي هذا المجال تنتظم العديد من النظريات لتفسير ماهية العنف سيكولوجيا وتربويا، ولعل أبرزها النظريات والآراء الآتية:

1- النظرية البيولوجية (الغريزية):

ووفقا لهذه النظرية أن السلوك الإنساني يعكس الطبيعة الإنسانية، وبأن الدافع للسلوك تنبع من قوة غريزية تنطلق تلقائيا، وقد طور داروين هذا المفهوم واقتضى أثره الكثير، منهم فرويد ولورنز وغيرهما ممن رأوا بأن العدوان ينبع من دافع داخلي ويدفع صاحبه للتعدي على الغير مباشرة أو على الأشياء أو بصورة غير مباشرة في مختلف النشاطات كالرياضية والألعاب التنافسية وحتى الوصول إلى السلطة وغيرها من الوسائل التي تعبر عن وجود مثل هذه الطاقة الغريزية.

بالنسبة لفرويد (1856 - 1939) فقد أكد أن هناك غريزتين متناقضتين تفسر السلوك الإنساني، أولهما غريزة آيروس أو غريزة الحياة، ورأى بأن لهذه الغريزة طاقتها والتي أطلق عليها مصطلح اللبيدو، وبأن هذه الغريزة تتوجه نحو التكاثر والإبقاء على الحياة، والغريزة الأخرى هي غريزة ثاناتوس، أو غريزة الموت، ورأى أن هذه الغريزة لها طاقتها، وبأن هذه الطاقة تتجه نحو الدمار وإنهاء الحياة، وتحقق هذه الغريزة الهدف الأقوى في النفس الإنسانية وهي الرجوع إلى حالة ما قبل الحياة، إلا أن هذه الغريزة إذا ما أحبطت فإن لطاقاتها أن تتوجه نحو الغير بدلا من توجيهها نحو الذات، وعلى الرغم من المخارج التنفسية لهذه الغريزة كحالات الغضب أو النشاطات التنافسية، إلا انه رأى أن هذه الحلول

مؤقتة ولا تجدي نفعاً، إلا بالعودة إلى ما قبل الحياة أي الموت، ورأى أن التعاون والتضاد بين هاتين الغريزتين هو الذي يحدث ظواهر الحياة والتي يضع الموت نهاية لها.

أما بالنسبة لكونراد لورنز (1903 - 1989)، وهو متخصص في السلوك الحيواني، فهو يرى بان العدوان الإنساني ينبع بالأساس من غريزة النزال والتي يشاطر فيها غيره من الحيوانات. وقد أكد أن غريزة العدوان في الإنسان والحيوان تخدم غرضين أساسيين: الأول هو تحفز الصنف الحيواني على الانتشار والهجرة وذلك بهدف الحصول على أكبر قدر ممكن من مصادر المحيط، وهذا يتضح من مسالك العنف التي تبديها الحيوانات نحو بعض أفرادها ودفعها للهجرة من مناطقها التي تعيش فيها إلى مناطق أخرى، أما الوظيفة الثانية التي تخدمها غريزة العدوان فهي ضمان بقاء الأقوى والأصلح مما يضمن إقصاء الأضعف من البقاء ودوام الأقوى بالتكاثر. أما الجديد والمثير في نظريته هو أن طاقة العدوان قابلة للتجمع مع مرور الزمن إذا لم تصرف في حينها، وبأن العنف والعدوان ينشا بصورة تلقائية ومتواصلة وبسرعة ثابتة، وبأن إطلاق العدوان ينجم عن تفاعل عاملين أولهما مقدار الطاقة العدوانية المتجمعة، وثانيهما توفر العامل المطلق في المحيط وقوة هذا العامل. ورغم الانتقادات الموجهة لهذه النظرية من حيث كون أساسياتها استخلصت من عالم الحيوان إلا إن بإمكان المرء أن يلتمس الكثير من مظاهرها في سياقات السلوك الإنساني.

2- نظرية الدافع العدواني:

افترض العلماء هنا وجود دافع للعدوان بدلا من غريزة للعدوان والفرق بينهما أن غريزة العدوان تفيد بوجود طاقة عدوانية تولد بصورة تلقائية، فان نظرية الدافع العدواني تفيد بأن العدوان ينشا من حافز أو دافع وبأن هذا الدافع يثار من حافز خارجي والذي يهدف إلى إيذاء أو إلحاق الضرر بالآخر. وبناء على هذه النظرية فان العدوان بصورة رئيسية هو نتيجة لتعرض الفرد لعامل محيطي معين والذي يثير حافزا للقيام بالعدوان. ومع تبني العلماء عامة مثل هذه النظرية عن الدافع للعنف إلا أن موضوع ماهية هذا الدافع ومصدره مازال بدون تفسير أو قيد البحث، إلا انه لا توجد فرقا جذرية بين نظرية الغرائز وبين نظرية الدافع، سوى أن الدافع للعدوان في الحالة الأولى هو دافع داخلي وفي الحالة الثانية هو حافز خارجي. أما الطاقة المحركة للحالتين فهي واحدة ولا بد أن يكون أساسها في الطبيعة البيولوجية للفرد وهي الطبيعة التي توفر الطاقة العصبية الفسيولوجية اللازمة للقيام بعملية العنف سواء إن أثير هذا العنف من الداخل أو بفعل عامل أو موقف معين من المحيط الخارجي.

3- النظرية التحليلية النفسية والعدوان:

على الرغم من أن فرويد هو رائد المدرسة التحليلية النفسية إلا أن آرائه بصدد العدوان كانت بيولوجية أكثر منها نفسية، ثم أن موضوع العدوان جاء متأخرا لدى فرويد، مما فسح المجال لمن جاء من بعده التنظير والبحث في هذا الموضوع. ويتضح من آراء معظم التحليلين أنهم ينظرون إلى العنف والعدوان ليس مجرد دافع للدمار أو لعقاب الذات وإنما كطاقة عقلية عامة ذات مشتقات عديدة وبأنه يلعب دورا هاما في الصراعات العقلية وبدرجة تماثل الدافع الجنسي العدواني.

4- نظرية العنف كسلوك اجتماعي متعلم ومكتسب:

طبقا لهذه النظرية فإن السلوك العدواني والعنف هو سلوك مكتسب أثناء الحياة الاجتماعية وبأنه يعتزز ويتواصل بفعل هذه العوامل، وأن الفرد يتعلم هذا السلوك وينوع ويطور أساليبه طبقا لقواعد التعلم والتي تعتمد على عناصر التعرض والتكرار والربط والإسناد بالمكافأة. ومع أن هذا المنظور الاجتماعي التعليمي للعنف والعدوان لا يمكن أن ينفي وجود طبيعة أساسية تمكن الفرد من ممارسة العنف والعدوان، إلا أنه ينوه بأن وجود مثل هذه الطبيعة الأساسية لا يعني بالضرورة الممارسة التلقائية للعنف والعدوان وهي الممارسة التي تتطلب توفر عوامل محيطية واجتماعية والتي تجعل من هذا السلوك ممكنا، وبالتالي فإن التحكم بهذه العوامل والسيطرة عليها ممكن أن يؤدي إلى الحد من العنف. وهناك الكثير من العوامل الاجتماعية والمحيطية والتي تعتبر ذات تأثير كبير في عمليات اكتساب السلوك العدواني وإثارته واستمراره، ومن هذه العوامل هي: حالات الإحباط، حالات التعرض لنماذج عدوانية، المكافأة وإسناد العنف، الإثارة الجسدية والمعنوية وكذلك الإثارة الجنسية. أما العوامل المحيطية التي لها تأثير في سلوك الفرد وتسهل انتقال العنف والعدوان فهي كثير ولعل أبرزها: الازدحام، والضوضاء، تلوث البيئة، الحرارة وكذلك المخدرات والكحول والعقاقير بمختلف أنواعها.

وفي هذا المجال، وبعيدا عن التفاصيل، أشير إلى علاقة العنف والعدوان بالإحباط، حيث فسرت النظريات القديمة هذه العلاقة مؤكدة أن هناك علاقة ثابتة بين الإحباط والعدوان، وأن العدوان ينبع من دافع يثار عندما تحبط مساعي الفرد في التوجه لتحقيق هدف معين، ويرأى هذه النظريات أن الدافع للتعدي قد يكون أو لا يكون ذو أساس بيولوجي إلا أن ارتباطه بالإحباط ثابت، بمعنى أن الإحباط يؤدي دائما إلى العدوان، والعدوان يسبق دائما الإحباط. أما الآراء الأكثر حداثة في هذا المجال فهي التي تؤكدان العلاقة بين الإحباط والعدوان ليست ثابتة بحيث يؤدي الإحباط دائما إلى ممارسة العنف ثم أن العدوان لا يأتي دائما نتيجة للإحباط وليس كل محبط عنيف، وكذلك ليس كل عنيف محبط، وأن هذا الأمر يتأثر بشكل كبير بالخبرة الفردية والتعلم والثقافة والتدريب، إلا أن هناك نوع من الإحباط المستديم والمتأصل ممكن له أن تثير العدوان والعنف بدرجة أكبر من غيره، فمثلا على المستوى الفردي فإن التربية السيئة للفرد منذ الصغر والإهمال وعدم الرعاية بإمكانها أن تكون مصدرا للعدوان، وعلى المستوى المجتمعي العام فإن الأزمات طويلة الأمد كالأزمات الاقتصادية والاجتماعية وما تسببه من معاناة جماعية وإحباط ممكن أن تؤدي في لحظات ما إلى العنف الشامل على خلفيتها الإحيائية المتشابهة التي تؤدي إلى تجمع الناس وتنظيمهم وبالتالي اندفاعهم نحو العنف لإزالة أسباب الإحباط، ولعل في ذلك يكمن التفسير النفس اقتصادي لحدوث مختلف الثورات في التاريخ وما يصاحبها من أعمال العنف.

IV. العنف اللفظي

1- مفهوم العنف اللفظي وواقعه في المجتمع:

يعد العنف اللفظي من المواضيع الشائكة في المجتمع الجزائري، ولاسيما أن الخبراء يشيرون إلى هذا الخصوص إلى أن الإساءة اللفظية غالبا ما تؤدي إلى العنف الجسدي منها المعاكسات والعبارات المشعرة إلى الحياء السب الشتم، وهي من أهم أعراض العنف اللفظي الذي أصبح ظاهرة متفشية بشكل واضح في

أوساط الشباب الجزائري، فكثيرا ما يعترض العنف سبيل الاتصال اللفظي حيث يغيب الحوار والواقع المعاش يكشف للأسف أن الكلمات التي تخدش الحياء ويندي لها الجبين أصبح ظاهرة مألوفة سواء في الأسرة، المدرسة، الجامعة أو الشارع فهو أصبح وسيلة لدفاع عن النفس وإثبات رأيهم دون وعي، وظاهرة اجتماعية مرضية خطيرة أصبحت تهدد شبابنا اليوم وتهدد المجتمع ككل، حيث أن نمط الاتصال أصبح مبني على الهيمنة والسيطرة، كما أدى إلى انهيار سلم القيم الاجتماعية الجزائرية فهو نتيجة الشعور بالإحباط والنقص وضعف الثقة بالنفس وهو مفتاح الإجرام كانتقام الفرد من نفسه كالانتحار أو من المجتمع كانتشار الشغب والهمجية في الشارع الجزائري مثل: الكتابة على الجدران والتشويه بمظهر الأحياء والتخريب كما يعتبر وسيلة خاطئة لحل المشاكل عن طريق السب والتهديد والتجريح والإهانات التي يستعملها الأفراد كرد للاعتبار.

ويمكن فهم ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري، انطلاقا من الظروف السوسيو الاقتصادية والثقافية "حيث أثرت العشرية السوداء في سلوك الأفراد" كما ساهم في ذلك القصور التربوي وظهور الثقافات الفرعية مما أدى الى بروز الصراع في المؤسسات التربوية.

كما أن من أهم أسبابه في الوقت الراهن، تفسيرها جملة التحولات السريعة على الصعيد الثقافي، الاجتماعي والحضاري.

العنف اللفظي كما يعرفه علم الاجتماع بأنه استعمال عبارات مخلة بالأدب والأخلاق الحميدة وسب الذات اللاهية وتشهير معظم الدراسات إلى أن ظاهرة العنف اللفظي ترجع لأسباب اجتماعية وحضارية وثقافية تتباين من مجتمع إلى آخر وأن الوقوف أمام تفاقم وانتشار ظاهرة العنف اللفظي يتطلب أن يبدأ بحل هذه المشكلة وكجانب وقائي أولا الأسرة، فهي المربي الأول محور الرئيسي في العملية التربوية، وذلك من خلال التوعية، التثقيف الأسري من خلال الإعلام المرئي والمسموع والمقروء من خلال الندوات والدورات التطويرية للتنمية البشرية.

كما تبين العديد من الدراسات اللسانية أن ظاهرة العنف اللفظي المتمثلة أساسا في قول الكلام البذيء والسب والشتم قاسم مشترك بين كل اللغات الإنسانية، فقد طورت كل اللغات وعلى مر العصور حقولا لغوية للكلام البذيء مثلما طورت كل اللغات قواعد ومفردات للكلام المهذب ويتمحور جل الكلام غير المهذب في كل اللغات بما فيه تحقير للأخر واستلاب لقدرته وإرجاعه لدرجة الحيوان أو حتى الجماد.

إن إشكالية العنف اللفظي أخذت تتطور بعد أن تطورت أدوات وأساليب العنف تطورا تقنيا هائلا خاصة بعد التطور التكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات الالكترونية التي كونه من العالم قرية كونية صغيرة.

ومن الناحية السوسيوولوجية فإن العنف والإرهاب يمثلان عودة الإنسان إلى الحالة البدائية الأولى إذ أن إحدى الخصائص الأساسية التي تميز كل حضارة عن غيرها هي الطريقة التي تستطيع بها تنظيم السلوك العدواني كطاقة ترميزية كامنّة وتهديبية عن طريق توجيهه بصورة عقلانية رشيدة وكذلك تعليم أفرادها كيف ومتى يظهرون عدوانيتهم، فالعنف له جذور ممتدة من التاريخ والعادات والتقاليد، كما إن اتساع ظاهرة العنف على الصعيدين العالمي

والمحلى وتطور أساليبه وآلياته دفع الكثير من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين إلى دراسة هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية وفهم أسبابها وتوضيح إبعادها وكذلك شروط تطورها وانتشارها وعلى الرغم من اختلاف الآراء في تفسير أسباب العنف ودوافعه فإن الفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين يشيرون إلى إن العنف كظاهرة اجتماعية ما هي إلا آلية من آليات الدفاع عن الذات ضد المخاطر من أجل البقاء، كما يشير اغلب العلماء إلى أن هذه الآلية هي إحدى الطاقات الغريزية الكامنة عند الكائن الحي التي تستيقظ وتنشط في حالات دفاعية ويستوي فيها الإنسان والحيوان. فالعنف اللفظي هو ناتج عن الشعور بالإحباط والنقص وضعف الثقة بالنفس كما أدى إلى انهيار سلم القيم وأصبح نمط الاتصال مبنى على الهيمنة والسيطرة كما يرى علماء الاجتماع إن تقليد الأبناء للأهل وخاصة في مرحلة الطفولة يعزز هذا السلوك وخاصة إذا كان الأهل يمارس احدهم هذا السلوك وفي هذا الصدد الصراع وعدم الحوار الايجابي بين الأفراد يعزز هذا السلوك عند الأبناء وخاصة في مرحلة المراهقة والشباب إذ إن الأبناء تتولد لديهم الرغبة في الاستقلالية والتعبير عن الذات وحل المشاكل التي تواجههم بالطرق التي يرونها مناسبة وإن كانت طريقة العنف اللفظي والتجريح والصراخ وعدم احترام الآخر تمارس في الأسرة فإنها ستمارس من قبل الأبناء في المجتمع، فالعنف سلوك سلبي لتنشئة اجتماعية خاطئة. وكذلك هو صورة من صور القصور الذهني حيال موقف، ودليل من دلائل النفس الغير مطمئنة وصورة للخوف من الطرف الآخر مهما تعددت أشكال ذلك الخوف، وانعكاس للقلق وعدم الصبر والتوازن، وقلّة الحيلة، ويعد مؤشرا لضعف الشخصية ونقص توازن السلوك كما أن علماء الاجتماع يرون إن العنف لن يكن يوما من الأيام فطريا بل كان دوما خلقا مكتسبا في النفس البشرية فلم يكن الإنسان عنيفا يوم ولادته بل إن عنف الطبيعة وعسر الحياة والتربية وعنّف الآباء هو الذي يغرس العنف في خلايا الدماغ فهي تنشأ وتتغذى وتتربى في الوسط الاجتماعي، وعند انتشارها يصبح المجتمع يعاني من عواقبها أما على المستوى الفردي فهي نتيجة حالات نفسية ذات علاقة بالمحيط الاجتماعي، وبعملية التنشئة الاجتماعية التي جعلت الفرد يسلك سلوكا معاديا للقيم ومعايير المجتمع.

فظاهرة العنف الشفهي ارتبطت ببعض المتغيرات الأسرية كالتفكك الأسري والتمييز بين الأبناء وأساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية والوضع السكني والاقتصادي، وصراع الأجيال وبرامج العنف التي تروح لها وسائل الإعلام ونقص الوعي الاجتماعي.

ومن المؤكد أن الشوارع الجزائرية قد تحولت إلى مسرح لسب والعنف اللفظي والبدني بحيث مثلا لا تكاد سيارة تلمس سيارة أخرى حتى يخرج أصحابها كل أساليب العنف والشتائم وكأنه أصبح وسيلة تعبير عن القوة والهيمنة وإثبات الذات أو بتعبير آخر أصبح لغة التطور.

2- العوامل المؤثرة في العنف اللفظي:

- التربية الأسرية:

حيث تكون لتربية الوالدين دور كبير في اكتساب الأطفال سلوكيات أباؤهم وأمهاتهم فإن كانوا ممن يستخدمون العنف اللفظي في تعاملهم مع أطفالهم على هذا السلوك وأصبح جزءا من شخصياتهم في الكبر.

- الجو المدرسي:

إن كان الجو المدرسي منضبطا من قبل المدرسين وإدارة المدرسة في متابعة سلوكيات الطلاب والمساعدة لمعالجة الظواهر الغير مناسبة فهناك يتجنب الطلاب هذه المسائل وإن كان المعلمون والإدارة لا تعبأ بمثل هذه المتابعة لهذه السلوكيات فتنتشر السلوكيات اللفظية السيئة بين الطلاب وتعكس على شخصيتهم في المستقبل.

- الحي:

حيث يكون الحي له أثر كبير في تلقي الأطفال لسلوكيات العنف اللفظي بين الأفراد وفي الأحياء البيئية والفقيرة لذا يلزم الحرص في متابعة الأبناء ومعرفة من يرافقون لتأثرهم الكبير في سلوكيات وألفاظ الأبناء.

3- أسباب العنف اللفظي:

إن ممارسة العنف اللفظي يرجع لعدة عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية مختلفة، فهي تنبع من أثر عميق سواء حدث في الماضي أو الحاضر ونذكر منها ما يلي:

◀ القهر الاجتماعي من أهم مكونات العنف، ليس للفرد فحسب بل في المجتمع أيضا فمن عدم المساواة الشخصية والنبذ الاجتماعي وانعدام العدالة الاجتماعية في بعض المواقف الإدارية والتربوية والقانونية كلها عناصر مولدة للعنف.

◀ سلبية تأثير وسائل الإعلام كافة واعتبارها أحد أهم وسائل انتشار العنف المكتسب عند الأطفال والمراهقين شأنها بذلك شأن الأفلام الجنسية المثيرة للمراهقين.

◀ صعوبة تكيف بعض الأشخاص مع المستجدات الاجتماعية والظروف الطارئة.

◀ تعاطي المخدرات والمسكرات من قبل الزوج قد يدفع إلى ممارسة درجات من العنف مع الزوجة والأبناء.

◀ تقليد الصغار للأطفال ومحاكاتهم بالعنف اللفظي.

◀ غياب القدوة الحسنة في الشارع والأسرة والمدرسة.

◀ ضعف التأطير والمتابعة في مستوى المؤسسات التربوية.

◀ ضعف المراقبة ونقص الصرامة والردع عائليا تربويا وأمنيا.

◀ تدهور القيم الاجتماعية وانتشار نزعة الفر دانية.

◀ التفكك الأسري وانتشار العنف الزوجي وغياب ثقافة الحوار.

◀ كثرة أوقات الفراغ وسوء تنظيم الوقت.

◀ الضغوط اليومية في العمل والدراسة وضغوط الشارع كثيرا ما تؤدي إلى تصريف الطاقات وردت الفعل عند الفرد في استعمال العنف اللفظي والتي تتخذ طابعا غاضبا.

◀ فوضى الاختلاط في بعض الأماكن والاحتكاك برفاق السوء.

- ◀ الاضطرابات النفسية وسرعة الانفعال عند بعض الأفراد الناتجة عن مشاكل مختلفة.
 - ◀ دوافع إظهار القوة وفرض الذات.
 - ◀ الشعور بالنقص لقلّة الإمكانيات المادية والاجتماعية مما يؤثر فيه سلباً فيبدأ بالمقارنة بنفسه ولآخرين باحثاً عن طريق لفت الأنظار وحب الظهور.
 - ◀ ضعف قنوات الحوار بين الشباب والجهات المعنية.
 - ◀ صعوبة الحصول على المسكن الملائم وتدهور الوضع الاقتصادي وانتشار البطالة.
 - ◀ التكبر والترفع عن الاعتذار عن الخطأ.
 - ◀ تراجع الوازع الديني فقد يكون هناك ضلال في فهم الشباب للدين وضعف الإيمان.
- إذا كانت هذه من بعض الأسباب التي نتجت عنها ظاهرة العنف بين الشباب فلا شك أن معالجة تلك المشكلة لا يكون إلا بمعالجة تلك الأسباب الأفضة سابقاً وتمحيصها بدقة بحيث توضع كل من الأسرة والمدرسة والشارع في قفص الاتهام بالدرجة الأولى.

4- ما هي وسائل العلاج؟

ويمكن اقتراح مجموعة من الوسائل للحد من الظاهرة ومنع انتشارها في المجتمع كما يلي:

- ✚ البحث في نشر ثقافة تربية عند الآباء والمربين والمدرسين في كيفية التعامل مع النشأ وتوجيههم بعيداً عن الشدة والعنف وغرس القيم النبيلة والحرص دائماً على الظهور بسلوك طيب وملتمزم ومتميز، والبعد عن التقليد الأعمى للمجتمعات الغربية التي لا تمد لديننا وأخلاقنا بصلته، والرجوع للدين والسنة وأن يكون القرآن هو طريقنا ودليلاً منهجياً في الحياة.
- ✚ وضع الخطط التربوية المناسبة من قبل المؤسسات التربوية المهتمة بتنشئة أجيال المستقبل لكي تتعلم كيف تتجادل بالحسن وتبتعد عن التجريح والعنف اللفظي.
- ✚ التحذير منذ الصغر للأولاد من السلوكيات اللفظية السيئة وهدم السكوت عليه عندما تصدر منهم وإظهار عدم الرضى لسماعها وتحذيرهم من الوقوع فيها مرة أخرى.
- ✚ بيان أن الألفاظ السيئة ليس من خلق المسلم ولا من الشيم التي جاء بها الإسلام.
- ✚ استخدام الصبر في التعامل مع المواقف الضاغطة وتجنب ردود الأفعال السريعة وغير العقلانية التي تنتج العنف اللفظي.
- ✚ تمرين النفس على تحمل الضغوط واحتساب الأجر لله.

- ✚ اللجوء إلى الاستغفار في موقف التآزم وذكر الله في كل ضيق.
- ✚ توثيق العلاقة بين البيت والمدرسة من خلال إيجاد شراكة حقيقية بين المعلمين والطلاب الذين يرتكبون السلوكيات الخاطئة وتعديلها.
- ✚ تنويع الأنشطة التربوية في المدارس التي يستطيع من خلالها الطالب تفريغ انفعالاته ومشاعره الغير سوية.
- ✚ دعوة الناس عبر الإعلام في تخطي العنف وتوجيه السلوكيات وتقويمها والعمل على طباعة ونشر كتب تبين الآثار النفسية للعنف على الأطفال وكيفية تجنبه وطرق التعامل معها ومعالجتها.

الخاتمة:

الكلمة مسؤوليّة وعلى الإنسان أن يحافظ على لسانه، ويعوده على الكلمة الطيبة النافعة، فهي وحدها التي تثمر في كل وقت خيرا بحيث لا ينقطع نفعها مهما كان الزمان أو الحال، حيث قال الله تعالى منها إلى دوام نفع الكلمة الطيبة: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ". ولاشك أن اهتمام الإسلام بأداب التخاطب جعله يحذر من العنف اللفظي والأصل في هذا التحذير يعود إلى رفض الإسلام للعنف بجميع أشكاله وألوانه فالله انعم علينا بنعمة النطق والتعبير عن الرضي والسخط واليوق بالمشاعر والأحاسيس فلنشكر هذه النعمة ونسخرها للحق وتعويد اللسان على حسن القول والكلمة الطيبة لنغرسها في أجيال الغد.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الدر: الأسس البيولوجية لسلوك الإنسان، دار المعرفة، 1994.
2. أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، 1985.
3. الأب: المجتمع والعنف: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، 1985.
4. حارث سليمان الفاروقي: المعجم القانوني، مكتبة لبنان، 1988.
5. حنان عبد الحميد العناني: الصحة النفسية للطفل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1997.
6. خالد حليبي: سيكولوجية العنف، دار الفكر، سوريا، ط 1.
7. د. خليل أ ح، المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، دار الحداثة، بيروت، 1984.
8. د. خير الله عصار: مبادئ علم النفس الاجتماعي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1984.
9. د. عدنان بوش: موقع المجتمع من ظاهرة العنف ضد الأطفال، الجمعية الوطنية للدفاع عن حقوق الطفل.
10. د. عزب سيد إسماعيل، تقديم د. فؤاد زكرياء: سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، ط 1، الكويت، 1988.

المجلات:

1. الطيب بالعربي: المجلة الجزائرية لعلم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، 1994.
2. مجلة الرصيد الوطني لحقوق الإنسان بالأشكال المعاصرة للعنف وثقافة السلم، منظمة اليونسكو ومساهمة المنظمة العاملة للصحة، الجزائر، 1997.
3. سلسلة موعذك التربوي: ثقافة السلم واللاعنف، المركز الوطني للوثائق التربوية، حسين داي، الجزائر، 1999.